الطعـــام ، الثقـــافة ، الســـكان

(دراســة فى أنثروبولوجيــا الطعــام)

مع أمثلة من أفريقيــا

اعـــداد

دكتور / توفيــق الحسينى عبــده

يقسم الانثروبولوجيـــا بالمعهـــد

مقدمـــة :

يرجع الفضل الى علماء الانثربولوجيا الاوائل فى القاء الضـــوء على مكونات الثقافة السائدة فى المجتمعات وايضاح الدور الذى تؤديه كل منها فى حياة الشعوب • وقد نال موضوع الطعام وما يتصل به من نظم اجتماعية وعادات وتقاليد عناية كثير من الباحثين الانثربولوجين • وبخاصة اؤلئك الذين تخصصوا فى دراســة الانثربولوجيا الاقتصادية من أمثال مالينوفسكى Malinowski وريموند فيرت R. Firth وهرسكوفيتز Herskovits . • وظرا للاهمية المتزايدة لموضـــوع الطعام فى الوقت الحاضر ، فأن الحاجة ماسة الى انشاء فرع جديد من الانثربولوجيا يسمى « انثروبولوجيا الطعام » يجمع كل ما يتصل بالطعام سواء أكانت نظم انتاج او استهلاك او توزيع وكذلك يشمل ايضـــا العادات والتقاليد المتصـــلة بالطعام ولا سيما ان هذا الموضوع بدأ يجذب باحثين وعلماء من تخصصات اخرى مثل علماء التغذية والبيئة والانثربولوجيا الطبية • وقد اثمرت كل هذه المحاولات تراكم عدد هائل من الدراســـات المتفرقة التى يمكن أن تكون لها قيمة علمية كبيرة لو وجدت المسار العلمى المحدد الذى توجهه مبادىء وأسس نظرية ، تمهيدا لارساء تعميمات مقبوله بناء على دراسات مقارنة لمشكلات الطعام فى عدد كبير من المجتمعات .• ولا سيما وقد تبين

ان الطعام ليس مجرد عامل اشباع بيولوجى بقدر ما هو عنصر ثقافى مقبول أو غير مقبول تبعا للثقافة السائدة فى هذا المجتمع او ذاك .

ولن يكون للبحث فى مجال « اثربولوجيا الطعام » مجرد فائدة نظرية او اكاديمية فقط ، بل ان مجالاته التطبيقية ستكون اعم واشمل . وستتضح الابعاد الاجتماعية والثقافية لمشكلات الطعام فى الدول النامية ـ كما هو الحال فى مجتمعات افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية ـ من خلال تناول التنوع الهائل للعادات والتقاليد والمعتقدات والنظم المتصلة بالامور الغذائية والطعامية عند هذه الشعوب ، ولا سيما بعد تعرض الكثير منها للنقص الشديد فى موارد الطعام التقليدية وذلك نتيجة لظروف وعوامل مختلفة ، واعتمادها على استيراد مواد الطعام من بلدان وثقافات تختلف عنها فى الثقافة والعقيدة والنظم الاجماعية .

وحتى نتعرف على الجوانب المختلفة لمشكلات الطعام فى الثقافات المختلفة وبخاصة فى قارة افريقيا ، فان هذه الدراسة ستحاول القاء الضوء على بعض هذه الجوانب ، وهى تتألف من ثلاثة فصول وخاتمة ، يتناول الفصل الاول وسائل انتاج الطعام فى البيئات الطبيعية المختلفة واستعراض لانواع النشاطات التى يمارسها السكان لاستخلاص مقومات معيشتهم فى صورة حرف أو انشطة انتاجية متنوعة كالجمع والالتقاط ، والصيد والقنص ، وصيد السمك ، والرعى ثم الزراعة ، اما الفصل الثانى فيناقش الى اى حد ترتبط هذه الانشطة بالتنظيمات الاجتماعية وبخاصة التنظيم القرابى ، وكيف تتخذ المجتمعات نظما قرابية معينة تتناسب مع طبيعة النشاط القوتى الممارس وكيف توزع ايضا على اعضاء المجتمع ، ويتناول الفصل الثالث استعراضا للعادات والتقاليد والعقائد المتصلة بالطعام لنتعرف على مقدار تباينها وتنوعها فى ثقافات الشعوب ونظمهم الاجتماعية وتختتم الدراسة بأهم النتائج التى توصلت اليها .

الاطار النظرى :

يعد البحث فى مجال الحاجات البشرية وبخاصة فى ميادين الغذاء والطعام او المأكل كحاجة بشرية لازمة الاشباع ، قديما جدا منذ عصر

فلاسفة اليونان القدماء ، فمن مجمل آراء افلاطون (١) الاقتصادية والسياسية ان الدولة تنشأ اساسا لتقوم بتلبية حاجات بنى الانسان ، اذ لا يوجد فرد يستطيع ان يكفى نفسه بنفسه ، لان حاجات الانسان كثيرة تستلزم عدة اشخاص لكى يمدونا بها ، ثم ينتقل افلاطون بعد ذلك الى مناقشة تقسيم العمل الذى يرى فيه ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية والاخلاقية الكثيرة التى يجنيها المجتمع من سيادة مبدأ تقسيم العمل ــ وذلك على غرار ما سيفعل دور كايم فيما بعد ــ فتقسيم العمل ضرورى للانسان من مطالب كثيرة اهمها المأكل والمسكن والملبس •

وقد طور برنسلاو مالينوفسكى الذى يعد ابو الاثربولوجيا الوظيفية دعوة افلاطون للبحث فى الحاجات الانسانية فى شكل نظرية ثقافية وزاد عليها اربع حاجات اخرى •

وتتلخص نظرية الحاجات Needs عند مالينوفسكى فى ان البشر فى كل مكان عليهم ان يشبعوا سبع حاجات بيولوجية اساسية لكى يعيشوا•وهذه الحاجات السبع هى الحاجة الى الغذاء ، والتناسل ،والراحة، والامن والحركة ، والنمو ، والصحة • ويوجد فى كل مجتمع فى العالم نوع من الاستجابة الثقافية لكل من هذه الحاجات •• وتؤدى الاستجابة الثقافية للاحتياجات البيولوجية الاساسية بدورها الى خلق بعض الحاجات الثانوية وهى ثقافية اكثر منها بيولوجية ، وتتميز هى الاخرى بأنها مشتركة بين ابناء البشرية جميعا ، ولتوضيح هذا يمكن ان نقارن بين حاجة الجسم الى الغذاء ، التى تتم مواجهتها ببعض اساليب الحصول على الطعام ، وبين الحاجة الثانوية الى تدريب ابناء ثقافة ما على الاستخدام السليم والانتفاع بهذه الاساليب ومن الواضح ان مثل هذا التدريب ليس اقل ضرورة للوجود الانسانى من عملية الحصول على الطعام نفسه (٢) •

---

(١) حسن شحاته سمفان ــ تاريخ الفكر الاجتماعى •
مطبعة دار التاليف ــ القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٢٠ •

(٢) راجع :
Beals, R. & Hoijer, H. : An Introduction to Anthropology, Mac Millan Company, N.Y. 1967, P. 723.
ترجمة د. محمد الجوهرى ــ الفصل العاشر ــ فى كتاب التغير الاجتماعى • دار المعارف ــ القاهرة ١٩٨٢ ص ٢٦٩ •

وسوف يقتصر هذا البحث على دراسة الحاجة الى الغذاء من خلال نظرية مالينوفسكى المشار اليها ، فكما تبين ان كل الاغذية تخضع لانتقاء ثقافى لاختيار انواع الطعام المرغوبة من بين الموارد المتاحة فى الاقليم او كما يسميها مالينوفسكى انها حاجة ثقافية اكثر منها بيولوجية ،والهدف من هـذا هو التعرف على مدى عموميتها فى المجتمعات والثقافات المختلفـة وبخاصة الثقافات الافريقية التى تتنوع بشكل يسمح بعقد المقارنات بين الانماط المختلفة من نشاط الانسان فى محاولاته لتأمين مصادر ومقومات حياته ، والى اى مدى تسـتخدم اساليب الحصـول على الطعام وهى ما تعنيه النظرية بالحاجة الثانوية للافراد .

المنهج المتبع فى الدراسة :

تحدد طبيعة الموضوع نوع المنهج الملائم للدراسة لذلك فسـوف تسير الدراسة على اساس المدخل الثقافى الوظيفى Functional Cultural Approacn الذى يستلزم ان ينظر الباحث الى العناصر الثقافية فى المجتمع على انها متكاملة ومترابطة . فالطعام كأحد العناصر الثقافية يعد عنصرا ثقافيا له محدداته وصلاته مع العناصر الاخرى ، كما يعتبر ايضا حاجة بيولوجية يسعى الانسان فى كل الثقافات الى اشباعها تبعا لما يتوفر فى البيئة من موارد .

وحيث ان الطعام يرتبط ارتباطا وثيقا بالثقافة السائدة فى مجتمع ما ، فقد حدد علماء الانثربولوجيا الطبية الفرق بين الغذاء والطعام من منظور ثقافى ، فالطعام كظاهرة ثقافية ليس منتج عضـوى يتألف من عنـاصر بيو كيماوية يمكن ان تستخدمه كائنات حية بما فيها الانسان للبقاء على قيد الحياة ، انما تحدد الثقافة فى كل مجتمع انسانى ما يعد كطعام صالح للاسـتخدام البشرى وما ليس كذلك . وهنا تحتاج المـوارد الغذائية المتاحة فى الاقليم الى موافقة ثقافية حتى تصبح طعاما مقبولا ، كما ان اى مجتمع بشرى مهما كانت درجة تقدمه او بساطته لا يمكن له ان يستهلك

---

(١) Malinowski, B. : A Scientific Theory of Culture and other Essays, 1944.

(٢) Malinowski, B. : The dynamics of Change, 1945.

الاشارة الى الترجمة العربية .

كطعام كل المصادر الغذائية المتوفرة فى البيئة المحيطة • فبسبب المحرمات الدينية او العقائدية او العادات المرعية تستبعد بعض انواع الاغذية من قائمة الطعام • لذلك يتعين التمييز بين « الاغذية » و « الاطعمة » فالغذاء هو مفهوم بيوكيماوى او مادة عضـوية تغذى الكائن الذى يستهلكها وتبقيه فى صحة جيدة ، اما الطعام فهو ثقافى انسـانى تحدده معتقداتنا عما يصلح كطعام أو ما لا يصلح من انواع الاغذية المتاحة (١) •

ويصنف العلماء (٢) البيئات الطبيعية التى يمكن ان تكون مجـالا لانتاج الطعام الى ثمانية اقسام رئيسية هى :

١ ـ **الاراضى الجافة** : (الصـحراء) : ويتراوح متوسـط المطر السنوى الساقط عليها بين صفر ـ ١٥ بوصة مع الاختلاف فى درجـة الحرارة وهى مناطق نادرة النباتات محدودة الحياة الحيوانية ، اما موارد المياه الجوفية ان وجدت فهى موزعة بغير انتظام وتؤثر بشكل مباشر على توزيع الحياة الحيوانية والبشرية ، وتشكل الواحات مناطق الاستقرار الوحيدة ، حيث يوجد شكل بسيط من اشكال زراعة الحدائق والرعى المحدود • وتوفر البيئة الصحراوية مجالا بسيطا للرعاة وجامعى الطعام •

٢ ـ **الغابات الاستوائية المطيرة** : وتقع حـول خط الاسـتواء حيث الامطار الغزيرة ودرجة الحرارة المرتفعة مما يؤدى الى نمو غزير للنباتات والاشجار المرتفعة بشكل يعوق احيانا الحياة الحيوانية والبشرية ، والمطر شبه يومى فى هذه المناطق ، وليس هناك فصول واضحة للسنة حيث تزهر النباتات على مدار السنة ، ونادرا ما يخترق شعاع الشمس كثافة الاشجار ليصل الى ارض الغابة •

٣ ـ **نباتات البحر المتوسط** : وهى المحصورة بين الصحراء والبحر ويفصلها عن الصحراء سلسلة من الجبال حيث تقع فى المنطقة المعتدلة ، وتتمتع بأمطار شتوية متوسطة وصيف حار جاف ، مما يساعد على نمو

---

(١) Foster, George M. & Anderson, Barbarag. : Medical Anthropology. John Wiley & Sons N.Y. 1978., P. 265.

(٢) Hoebel, Adams : MAN, In the Primitive World, MC GRaw-Hill Books Company, Inc. N.Y. 1958, P. 178.

الاشجار ونباتات المنطقة المعتدلة ، وهى وفيرة ، ورغم انهـا محدودة المساحة الا انها كافية لامداد نماذج مختلفـة من المجتمعات الانسـانية بالطعام الكافى •

٤ ـ **نباتات المنطقة المعتدلة** : وهى غزيرة المياه دائمة الخضرة والانبات صيفا وشتاء ، ولكن النباتات البرية الصالحة للغذاء الادمى محـدوده ويمكن ممارسـة البستنه فيها ، ولكن تتطلب كثيرا من العمـل لتهيئة الارض للزراعـة • ونباتات المنطقة المعتدلة ملائمة لنوع الاسـتيطان البدائى ، ولقد وفرت الغذاء لانسان الحضارات الاولى منذ فجر التاريخ ، اما فى الوقت الحاضر فقد شهدت المنطقة غزوا هائلا واصبحت مأوى لاكثر من نصف سكان العالم •

٥ ـ **نباتات المنطقة المتجمدة** : نباتات هذه المنطقة تمر بشتاء طويل قارس وصيف قصير ، مما يجعل حصول الانسان على الطعام امرا شاقا اللهم الا بعض الصـيادين الذين يعيشـون على لحوم الحيوانات التى يصيدونها ويتخذون من جلودها ملابس لهم •

٦ ـ **المنطقة القطبية والتندرا** : وهى مساحات هائلة من الاراضى المتجمدة او المكسـوة بالجليد تنمو عليهـا أحيانا بعض الشجيرات او الحشائش الفقيرة التى تتغذى عليها الحيوانات القطبية •

٧ ـ **اراضى الحشائش** : وهى مناطق البرارى والاستبس ، وهمـا نموذجين مثالين للاراضى شبه الجافة التى تتخلل المناطق المعتدلة ، وعندما يقل الارتفاع تنمو على هذه الاراضى الحشائش الاسـتوائية المعروفة بالسفانا حيث يجود الرعى وتكثر الحيوانات البرية والمستأنسة ، كما هو الحال فى حيوان البيسون فى امريكا ، والانواع العديدة من الحيوانات فى دول شرق افريقيا والسودان ، وهى بيئة مناسـبة لسكنى الشـعوب البدائية حتى ولو لم تعتمد على استئناس الحيوان ، وهم يعيشـون فى جماعات صغيرة كصيادين رحل او كزراع حـدائق فى أودية الانهار • اما الرعاة ، فانهم يفضلون هذه البقاع كمصدر دائم ووفير بمواد الطعام

المختلفة ، ومن نماذج سكان هذه المناطق هنود السهول فى امريكا الجنوبية والماساى فى شرق افريقيا •

٨ ـ **المناطق الجبلية** : فيما عدا المناطق المتجمدة الشمالية والمناطق القطبية ، فان المناطق الجبلية يمكن ان تمثل مناطق جغرافية متميزه تنمو عليها نباتات وزراعات المرتفعات ، وقد استطاع الانسان ان يتكيف مع ظروف الارتفاع ويحصل على طعامه من زراعة المرتفعات ، كما امكن قيام حضارات وثقافات مختلفة على هذه الجبال والمرتفعات رغم صعوبات النقل والاتصال والمثل البارز لثقافة الجبال هو قبيلة الانكا Inka فى بيرو •

الفصـــل الأول

وسائل انتاج الطعـــام

تعتمد مصادر المعيشة المتاحة للشعوب على ثلاثة عناصر اساسية هى : البيئة الطبيعية ــ الثقافة ــ السكان ــ فاما البيئة الطبيعية فتعيش على مواردها بصورة مباشرة ، الشعوب التى تحترف جمع والتقاط الطعـــام المكونة من الجذور والدرنات والحبوب والحشرات • أما الشعوب التى تحترف الزراعة والانبات ورعى الحيوانات ويلمون فى الوقت نفسه بطرق طهى واعداد الطعام لتكون نافعة ومستساغة فهم يعتمدون بدرجة اقل على البيئة الطبيعية وهكذا كلما تقدمت وسائل انتاج الطعام قل الاعتماد على موارد البيئة الطبيعية وتحرر الانسان من قيودها ، وكلما ازدادت معرفة السكان بالوسائل الثقافية لتوفير الطعام كلما ازداد عددهم وابعدوا شبح المجاعة والفاقه عنهم •

ولا تحدد البيئة الطبيعية ــ لسكان مجتمع ما ــ بشكل قاطع كما يذهب الى ذلك انصار الحتمية البيئية نوعية الطعام المنتج كما ونوعا فى كل الاحوال بل انه يمكن ان يتغلب الانسان على صعوبات البيئة ويتكيف مع الظروف المحيطه به ، وذلك باستخدام الوسائل والطرق الثقافية مثل استصلاح واستزراع اراضى الصـــحارى والقفار لتزهر وتخضر وتثمر الثمار المتنوعه ، وكما فعل الافريقيون بتطهير اراضى الغابات من الحشائش واحلال المحاصيل والزراعات القومية التى يحتاجون اليها وســـاعد على ذلك الالمام بالطرق التقنية فى الزراعة •

ان اى شعب مهما كانت درجة تقدمه او تأخره فى سلم التطور البشرى لا يمارس نشاطا اقتصاديا واحدا ، او وسيلة انتاجية بعينها او حرفة دون غيرها ليستخلص طعامه عن طريقها • لذلك فعندما نستخدم الاصطلاحات الحرفية او المهنية مثل الجمع والالتقاط ، والصيد والقنص ، وزراعـــة الحدائق وزراعة الفأس والزراعة البسيطة والمتقدمة ، والرعى واستئناس الحيوان ، فان هدفنا هو تسهيل التحليل والمقارنة ، كما ان تصنيف هذه الفئات من الشعوب أو الثقافات يعنى مجرد وصف الوسائل المعيشية الغالبة

على نشاط سكان هذا المجتمع او غيره فانشطه الانسان متنوعه ، وكثيرا ما يجمع الشعب الواحد ـ وبخاصة فى المجتمعات التقليدية ـ بين وسيلتين او اكثر من وسائل انتاج الطعام كالزراعة والرعى مثلا • وحتى ما يسمى بالرجل المتحضر فى العصر الصناعى الحديث ، فانه يمارس احيانا الفلاحة فى حديقة منزله او فى مزرعته الخاصة ، ويخرج فى نزهة للصيد البرى او صيد السمك ، واحيانا اخرى يجمع الثمار البرية ، وقد يحتفظ ـ بجانب كل هذه المناشط ـ بقطيع من الحيوانات • وأهم وسائل انتاج الطعام التى تتخذ شكل حرف هى :

الجمع والالتقاط :

وتعد حرفة الجمع والالتقاط من اولى الحرف التى مارسها الانسان منذ فجر التاريخ الانسانى واكثرها بدائية كوسيلة للحصول على الطعام ، وهذا النشاط فى ابسط اشكاله لا يحتاج الى ادوات او معدات ، مجرد ايدى تلتقط الطعام واذرع تحمله الى الفم مباشرة ، ويسمونها حضارة « من اليد الى الفم » From hand to mouth ولازالت هذه الوسيلة تمارس فى المجتمعات البدائية البسيطة حتى الآن ، كما هو الحال عند جماعات الاقزام فى الغابات الاستوائية ، وقبائل البشمن فى صحراء كلهارى بجنوب غرب افريقيا •

ومن الناحية التاريخية فان حرفة الجمع والالتقاط تعد قديمة قدم الانسان نفسه على هذه الارض • ويذكر عالما الانثروبولوجيا الثقافية بيلز وهويجر ان الانسان كان جامعا للطعام خلال معظم فترات تاريخه ، فمنذ العصر الحجرى القديم ، وايضا ما يقرب من ثمانية الى عشرة الاف سنة فى العصر الحجرى الحديث ، لم يكن اى مجتمع بشرى يمارس اى شكل من اشكال انتاج الطعام وانتشر على مساحة واسعة من الارض ، ووضع بذلك الاسس العريضة للحضارة الانسانية • ولقد اعتمد الانسان الاول فى غذائه على خليط من الاطعمة تتألف من لحوم الحيوانات وبعض النباتات مثلما تفعل كل الشعوب المتحضرة ، فيما عدا بعض الجماعات او الطوائف التى لديها تحريمات ذات طبيعة دينية أو عقائدية ، وكل الشعوب غير الزراعية لديها ادوات واسلحة كافية للصيد البرى او صيد

نسمك ، الا ان مجتمعات جمع الطعام تتشابه فى جوانب الثقافة الاخرى (١) .

ويلخص المؤلفان الخصائص العامة المشتركة فيما يلى :

١ ــ الكثافة السكانية فى مجتمعات جمع الطعام قليلة عادة ، واستثناء من هذه القاعدة يزيد عدد السكان فى المجتمعات التى تقع على شاطىء المحيط الهادى أو السهول العظمى لامريكا .

٢ ــ مجتمعات جمع الطعام تكون عادة معزولة ، وغالبا تنتقل باستمرار او على فترات من مكان الى آخر بحثا عن النباتات البرية والحيوانات ، فهم يميلون الى ان يكونوا رحلا ، بعكس المجتمعات المنتجة للطعام فهى اكثر استقرارا .

٣ ــ جماعات جمع الطعام منظمة بصفة اساسية كجماعات عائلية مكتفية ذاتيا أو فى معظم الاحيان كأسر غير مترابطة ، لذلك فان فعالية الضبط الاجتماعى والتفاعل بين اعضائها مبنى الى التنظيم القرابى اكثر منه على التنظيم السياسى .

٤ ــ يوجد جامعو الطعام اليوم فى الغالب الاعم فى مناطق منعزلة او هامشية وقد انتقلوا الى هذه المناطق تحت ضغط الجماعات المنتجة للطعام وهى الاقوى والاكبر .

ويجب الا يظن ان الشعوب الجامعة للطعام اقل منزلة من غيرها . او انها غير قادرة على التفكير بحيث تعجز عن اكتساب ثقافة اكثر تقدما .

الا ان الجمع والالتقاط لا يمكن ان يكون هو النشاط الاقتصادى الوحيد وان كان هو النشاط الغالب ، فقد يجمع بين جمع الطعام وقليل من صيد الحيوانات الصغيرة أو الطيور واحيانا يقوم مبدأ تقسيم العمل بين الجنسين فى سد النقص فى احتياجات الاسرة الغذائية ، اذ بينما يقوم الرجال بالتجول بعيدا او فى داخل الغابة لصيد هذه الحيوانات الصغيرة تقوم النساء بجمع الخضر والثمار الساقطة من الاشجار حول مقر الاسرة

(١) Beals, Ralph & Joijer, H. : Op. Cit., P., 386 f.

والشكل الغالب لمجتمعات الجمع والالتقاط هو ما يوجد فى افريقيا فى صحراء كلهارى وغابات الكونغو حيث تنضوى جماعات الجمع والالتقاط تحت حماية او فى كنف جماعات زراعية او رعوية حيث تتعاون او تتكامل الجماعتان فى توفير الموارد الغذائية •

الصيد والقنص (*) :

اما الشعوب التى تعتمد على الصيد والقنص فى الحصول على طعامها فانها تجمع بين ما تجود به البيئة الطبيعيه من ثمار برية ودرنات ويستخدم السكان وسائل وأدوات متنوعة مثل الحراب والشباك وبين وسيلة أكثر تقدما وهى قنص الحيوانات التى تتوفر فى البيئة ، والاسلحة البدائية ، وأحيانا اخرى يلجأون الى استخدام الحراب المسمومة والشراك الخداعية للايقاع بالفريسة والتغلب على سرعتها وقوتها •

ولازالت جماعات البوشمن والهتنتوت فى صحراء كلهارى بجنوب غرب افريقيا وكذلك الاقزام فى الغابات الاستوائية الافريقية تعيش على هذه الحرف البسيطة ويعيش السكان فى جماعات منعزلة بحيث لا يشكل التنظيم الاجتماعى وحدات قرابية كبيرة من حيث عدد الافراد ، ويقابل هذه البساطه فى التنظيم الاجتماعى انماط غاية فى البساطة من الحياة الاقتصادية عند هذه الجماعات ، فالعائلة تعتبر وحدة انتاجية واستهلاكية فى نفس الوقت ، مع قدر قليل من البادل مع الجماعات الاخرى المجاورة • ومع ذلك يوجد نظام لتقسيم العمل بين الجنسين فى وسائل الحصول على الطعام •

فعند البوشمن تجمع المرأة جذور النباتات والدرنات والثمار البرية وتقوم بصيد الحشرات والضفادع والسحالى وتحضر خشب الوقود والماء مستخدمة بيض النعام وامعاء الحيوانات كأوعية لحفظ الماء ، وتخرج

(*) يمكن التفرقة بين الصيد والقنص من حيث الوسيلة التى يتم بها الظفر بالحيوان كفريسة ، فالصيد يتم باستخدام ادوات معينة كالحراب والسهام والاقواس او بأى ادوات اخرى ، اما القنص فيتم بدون ادوات ولكن تلعب الحيل والافكار دورا كبيرا فى نجاحه ، حيث يفكر الشخص فى وسيلة للايقاع بفريسته وذلك بحفر حفرة ويغطيها بفروع الاشجار للتمويه او مفاجئة الحيوان بالقفز عليه من اعلى شجرة او نصب الشراك الخداعية او التخفى وغير ذلك من الحيل •

يوميا فى جولات قصيرة المسافة حول المسكن ومعها عصا الحفر لتعاونها فى التنقيب فى الارض الجافة عن اى مادة تصلح كطعام ، اما الرجل فان مهمته الاساسية هى صيد الحيوانات البرية مهما كان نوعها ، ويخرج يوميا بمفرده حاملا رمحه وسهامه المسمومه ــ وقد يصطحب معه ابنه بهدف التدريب ــ ويلجأ الى بعض الحيل لاقتناص الفريسة ، كأن يتخفى فى جلد نعامه ويمكث بجوار مورد للماء فى انتظار قدوم بعض الحيوانات للشرب وبمجرد ان تقترب منه احداها يصوب اليها سهامه فى مقتل ويحملها عائدا الى اسرته (١) .

ويجب ان يؤخذ فى الاعتبار درجة تخصص كل جماعة من الجماعات الممارسة لحرفة الصيد والقنص ، فيوجد درجة معينة من التركيز على مصدر بروتينى واحد دون غيره من مصادر البيئة الطبيعية ، مثل صيد الحيوانات البرية فى اقليم البوشمن ، وصيد البقر فى السهول الغربية الامريكية والرنة البرية فى اقاليم آسيا وامريكا الجنوبية والثدييات فى القطب الشمالى .

وحيث ان حيوانات الصيد كانت توجد بجانب بعضها البعض ، فقد استلزم ذلك قيام تعاون وثيق بين السكان عند خروجهم للصيد ، وكان هذا التعاون من الامور التى ساعدت على توثيق الروابط بين الجماعات للحصول على الطعام اذ ان كثيرا من الحيوانات الكبيرة الحجم وقطعان الحيوانات لا يمكن ان يصاد عدد كبير منها ، الا اذا خرج عدد من الصيادين معا متعاونين مع بعضهم (٢) .

صيد السمك :

يشكل السمك والمأكولات البحرية الاخرى ، الطعام الرئيسى لدى معظم سكان السواحل والجزر البحرية وبصفة خاصة فى مجتمعات اسيا وشمال اوربا والامريكتين ، والى حد اقل فى مجتمعات افريقيا . وتكاد حرفة صيد السمك ان تكون هى العماد الرئيسى لاقتصاديات دول باسرها كاليابان والملايو واندونسيا والنرويج والدانمرك .

---

(١) Forde, Daryll : Habitat, Economy, and Society, Methuen & Co. Ltd. London, 1946, P. 28.

(٢) رالف ليتتون : شجرة الحضارة ــ الجزء الاول ، ترجمة الدكتور احمد فخرى ــ مكتبة الانجلو ــ القاهرة ١٩٥٨ ــ ص ١٤٧ .

ومن الدراســات الاثربولوجية الرائدة لاقتصاديات حرفة صــيد السمك واثرها على البناء الاجتماعى عموما ، هى الدراسة التى قام بها ريموند فيرث (١) R. Firth فى مجتمع الملايو • فقد نبه الاذهان الى الاهتمام بمثل هذه الاقتصاديات القروية لانها تشــكل مصــدر الرزق الرئيسى لاعداد كبيرة من السكان وتكمن اهميتهم ليس فى مجرد عدد الصيادين الممارسين لهذه الحرفة ، ولكن فى كونهم مساهمين اساسيين فى الاقتصاد الغذائى للمجتمع • فالسمك سواء كان طازجا أو مجففا او مدخنا هو الملازم المعتاد للارز فى وجبة القروى فى اغلب اقطار الشرق الاقصى • وفى الملايو يعتمد عليه حتى العامل المهاجر اعتمادا اساسيا ، فما دام اللحم عزيزا او غالى الثمن ــ حتى لو وجد ــ فان الســمك يعطى الجزء الرئيسى عالى القيمة الغذائية من البروتين الحيوانى بالاضافة الى سهولة هضمه ــ وكتغيير عن السمك او بديلا عنه يؤكد الجمبرى والكابوريا والاطعمة البحرية الاخرى •

وقد حلل فيرث بطريقة بارعة اقتصاديات صيد السمك من منظور اجتماعى ، واظهر ان مفهوم راس المال لدى الفرد فى المجتمعات التقليدية يختلف عنه فى المفهوم الغربى ، وان احــد الاختيارات امام صــاحب القارب لاســتثمار رأس المال الفائض لديه يمكن ان ينفق على طــاقم الصــيد دون اى عمل ، وذلك بامدادهم بالطعام اللازم لهم ولاسرهم طوال فترة الكساد الموسمى (فترة توقف الرياح) الى ان يحين موسم صيد السمك •

واذا كانت مجتمعات بأسرها فى قارتى آســيا واوروبا تعيش على السمك كطعام معيشى رئيسى ، بل وتصدر ما يفيض عن انتاجها السمكى كمنتج نقدى بعد تصنيعه بالتخفيف او التمليح او التعليب ، فعكس ذلك نجده فى قارة افريقيا حيث لا يشــكل السمك جزءا كبيرا من الطعــام الافريقى ، اللهم الا فى مصر وبصفة خاصة فى المحافظات البحرية •

انما تمارس حرفة صيد السمك بسواحل افريقيا على نطاق ضيق ، ولا تتعدى بعض القوارب الصغيرة التى تعمل امام السواحل مباشرة ويستهلك معظمه محليا •

---

(١) Firth, Raymond : Malaya Fishermen, Their Peasant Economy, Kegan Paul, London 1946, Passim.

اما فى الانهـــار الكبرى كالنيل والكونغو والزمبيزى وايضـــا فى البحيرات العظمى فهناك حركة صيد من الاســـماك النهرية على نطاق أوسع ، ولكنها لا تتناسب مع ذلك القدر الهائل من المسطحات المائية . وقد يرجع ذلك الى عدم وجود تقليد حرفى او تخصص مهنى من احد الجماعات او القبائل الافريقية ، وقد يرجع ايضا الى عدم استساغة لحم السمك كطعام مقبول او كبديل عن اللحوم التى هى الطعام المفضل لدى معظم الجماعات الافريقية سواء أكانت زراعية ام رعوية ، مما ادى الى الاحجام عن ممارسة حرفة صيد السمك لأنها لا تضفى على من يمارسها مكانة اجتماعية عالية كما هو الحال فى الرعى مثلا .

وهناك بعض القبائل القليلة التى تستفيد من صيد النهر ، فقد كانت قبيلة الجوامبى ـــ القاطنة شمال اتحاد جنوب افريقيا ـــ تعيش قرب مورد كبير للسمك ، ولكنها لم تعتن بصيده او بأكله ، ويبدو انها لم توجه اى اهتمام الى اســـتغلال الانهار التى كانت تعيش بحمازاتها ، وذلك بخلاف قبيلة التونجا المجاورة لها التى كان اقتصـــادها يرتبط بصيد السمك بجانب مناشطها الاقتصادية الاخرى (١) .

الرعى :

تعتبر حرفة الرعى من اهم محاولات الانســـان للتحرر النسبى من سيطرة البيئة على موارد الطعام ، اذ يمكن للرعاة ان ينتقلوا بدوابهم من مكان الى مكان اذا اقفرت البيئة او افتقرت الى توفير العنـــاصر الغذائية الكافية للانسان والحيوان الذى يرعاه . ومنذ ان استأنس الانسان حيوان الرعى فقد وسع من محيط مجتمعه ، وانتقل الى اقاليم يتوفر فيها الكلأ والماء ليكتشف افاقا جديدة ، وادى هذا النمط من النشاط الاقتصادى الى ظهور اشكال جديدة من التنظيمات الاجتماعية تلائم الطبيعة المتميزة للرعى كوسيلة لتأمين موارد الطعام .

وتنقسم مجتمعات الرعاة تبعا لحيوان الرعى الى عدد من الاقســـام فهناك جماعات تعيش على رعى الماشية وبصفة خاصة الابقار وتنتشر فى

---

(١) وليم باسكوم ، ملفيل هرسكوفينز : الثقافة الافريقية .
ترجمـــة عبد الملك الناشف ـــ المكتبة العصرية ـــ بيروت ١٩٦٦ ، ص ٢٥٣٠ .

آسيا وافريقيا واشـــهرها القبائل النيلية كالنوير والشيلوك والدنكا ، والنيلية الحامية فى شرق افريقيا كالناندى ، والماســـاى وغيرها • بينما تعيش جماعات البدو الرحل فى المناطق شبه الصحراوية على رعى الابل والاغنام كما هو الحال فى منطقة الشرق الاوسط وشـــمال افريقيا وفى المناطق القطبية تعيش جماعات الاسكيمو على رعى الرنة •

لذلك لا تتعدد مصادر الحصـــول على الطعام فى المجتمعات الرعوية تبعا لنوعية الحيوان فقط ، بل وايضا تبعا لمدى الاســـتفادة من لحم الحيوان او لبنه او دهنه او دمه او جلده • فقد تبين ان كل ثقافة تحدد اجزاء او عناصر معينة من الحيوانات يســـمح بتناولها كطعام ، وقـــد تستخدم اجزاء اخرى لاغراض غير طعامية ، ولعل ما هو جدير بالذكر ان المجتمع الصومالى وهو مجتمع رعوى اساسا يربط بين الطعام والمنزلة الاجتماعية لكل من الرجل والمرأة فيتم تقسيم لحم الحيوان بحيث يقدم للرجل اجزاء معينة بينما تأكل النساء اجزاء اخرى كالكبد والامعـــاء والارجل والرأس •

وكثير من الشعوب الافريقية تستخدم دهن الحيوان لاغراض التزين والتجميل ولا تضيفه الى قائمة طعامها • ويلاحظ بان هناك اتجاها عاما فى المجتمعات الرعوية بانه كلما زادت الثروة الحيوانية فى مجتمع ما . قل الاعتماد على اجزاء من الحيوان كطعام ، وتلعب الثقافة السائدة دورا كبيرا فى تحديد هذه الاجزاء ســـواء فى شكل عقائد ومعتقدات أو فى صورة عادات غذائية •

ولعل اشهر مجتمعات الرعى تداولا فى الكتابات الاثربولوجية هى المنطقة الثقافية المعروفة باسم مركب الماشية (*) Cattle Complex فى شرق افريقيا التى درسها العلامة هرسكوفيتز وبين دور الماشـــية فى ثقافة القبائل النيلية الحامية التى تسكن هذه المنطقة ، فالماشية وما ينتج

(*) قسم هرسكوفيتز افريقيا الى مناطق ثقافية متمايزة (شكل رقم ١) .

Herskovits, M. : The Human Factor in Changing Africa, Alfred Knopf, N.Y. 1962, P. 56.

احمد ابو زيد : البناء الاجتماعى ـ الجزء الأول ـ المفهومات الطبعة الثالثة الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ـ القاهرة ١٩٧٠ ص ١٩٨ .

عنها ليست فقط مجرد مصـــدر طعامى دائم ، بل هى ايضا رمزا للمكانة الاجتماعية ووسيلة للتضامن الاجتماعى بين الجماعات بالاضافة الى كونها وسيطا للتبادل والتهادى • فعند النائدى فى كينيا يعد اللحم عنصرا هاما فى طعامهم ولكنهم لا يذبحون الماشية للحصـــول عليه الا فى الضرورة القصوى ، وبجانب ذلك يحصلون على طعامهم من اللبن والدم عن طريق فطع احد شرايين البقرة حتى تسيل كمية الدم اللازمة •

وهناك اسباب كثيرة قد تحمل الناس على رفض الاشياء الجديدة ، نذكر منها على سبيل المثال الحالات التى لا تنسجم فيها الاشياء الجديدة مع العرف القائم والتقاليد المورثة او الحالات التى لا تناسب فيها هذه الأشياء البيئة الطبيعية ، ومن الامثلة التى توضح هـــذه الظاهرة قبيلة التوتسى فى رواندا التى تعلق اهمية كبيرة على ثروتها من الماشـــية ، لقد اقبلت هذه القبيلة على ادخال تعديلات على التقاليد التى كانت تتبعها سابقا فى الاجراءات السياسية ، وفى الغذاء ، والى حد ما فى الزراعة ، ولكنها قاومت بعناد واستنكرت بشدة الاجراءات الادارية التى اتخذت لحملها على تسريح قطعان الماشية او تخفيضها رغم ان مشكلة السكان فى بلادها لا تنشأ فحسب من كثافة الناس بالنسبة للاراضى المتيسرة ، وانما ايضا من كثرة قطعان الماشية وضغطها على الموارد الغذائية المتوافرة وبالتأكيد لا تشكل قبيلة التوتسى حالة استثنائية ، فهناك شعوب اخرى كثيرة فى شرق افريقية ابدت مقـــاومة للمحاولات التى بذلت لانقـــاص ثروتها من قطعان الماشية ، ورفضت استخدام الابقار والثيران فى الحراثه ، او ترددت فى بيع الماشية واســـتعمال ثمنها فى شراء بضائع لا تنتجهـــا بلادها ، ففى التقاليد الافريقيـــة قيم روحية لا يمكن قياسها بمقاييس مـــادية (١) .•

الزراعـــة :

تتعدد اساليب انتاج الطعام نتيجة ممارســـة حرفة الزراعة وتظهر تنوعا هائلا بين الزراع اكثر منه بين جامعى الطعام وبين الصيادين على السواء ولا يقتصر هذا التنوع على طبيعة المحاصيل والمصادر الغذائية

---

(١) وليم باسكوم ، الثقافة الافريقية . المرجع السابق .
ملفيل هرسكوفيتر : ص ٢٠ .

فقط ، بل يمتد ايضا الى استخدام الاساليب الفنية فى الانتاج الزراعى وما يرتبط بهذه الاساليب الانتاجية من تنظيم اجتماعى وسياسى أكثر تعقيدا فى طبيعته من الأشكال الاولى للنشاط الاقتصادى ، وبذلك اعتقد العلماء التطوريون فى القرن التاسع عشر ان البشرية قد مرت بمراحل تطورية ، مارس فيها الانسان حرفا عديدة حتى وصل الى مرحلة الزراعة ، التى تعد فى نظرهم من ارقى الحرف واسماها فى سلم التطور البشرى قبل المرحلة الصناعية .

ويميل بعض المفكرين الى تصنيف النشاط الزراعى كنشاط انتاجى تبعا لادوات واساليب الزراعة المستخدمة مثل عصا الحفر وزراعة الفأس وزراعة المحراث ، بل انهم يطلقون على كل اسلوب من هذه الأساليب لفظ « ثقافة أو حضارة » حيث يعتبرون ان استخدام اسلوب زراعى ما هو الا عنصر ثقافى يتفق مع الثقافة الكلية السائدة عند هذا الشعب او تلك القبيلة .

وغالبا يشار الى الزراعة البدائية فى افريقيا بأنها مرتبطة بعصا الحفر ، وهى فى جوهرها زراعة بسيطة متنقلة Shifting Cultivation تعتمد على استنفاد القدر القليل من خصوبة التربة التى تستطيع هذه العصا النفاذ اليه بأقل جهد عضلى ممكن وابسط اداة متوفرة . وقد عرفت الزراعة المتنقلة فى انحاء كثيرة من افريقيا معتمدة على مياه الامطار او حول ضفاف الانهار دائمة الفيضان مثل النيل والكونغو ، حيث تفيض المياه المحملة بالطمى الخصيب على جانبى النهر او روافده أو مصباته مكونة طبقة من التربة الخصبة التى تكون هشه بحيث تستطيع عصا الحفر الغوص فيها وتقليبها ، حتى اذا ما استنفدت خصوبتها انتقل المزارع الى قطعة اخرى لزرعها بهذه الوسيلة البسيطة . وحيث يوجد تقسيم للعمل بين الجنسين وبخاصة فى المجتمعات الرعوية ـ كما هو الحال فى شرق افريقيا ـ حيث يهتم الرجال اهتماما بالغا بتربية الماشية ورعيها . تقوم النساء بهذه الزراعة البسيطة حول المقرات السكنية وتعرف بزراعة الحدائق او البستنة Horticulture

وقد لعبت الزراعـة المتنقلة دورا هاما فى افريقيا فى توفير الموارد الغذائية الكافية لافراد المجتمعات التى توجد فيها بسبب وفرة الاراضى الصالحة للزراعة وفرة تزيد عن حاجة السكان ، ولكنها ادت الى كثير من المشكلات السياسية بين القبائل بسبب المنازعات على حيازة الارض ، وعندما جاء المستعمرون الى القارة لم يفهموا هذه الوسيلة من النشاط الزراعى للقبائل الافريقية ، واستولوا على اراضى الوطنيين غير المنزرعة على زعم انها غير مملوكة لاحد (*) .

اما زراعة الفاس Hoe-Culture فهى تعتمد على القوة العضلية للانسان ، وهى فى الاغلب تستخدم لانتاج المحاصـيل المعيشـية أو القوتيه Subsistance Crops ، فى مساحات صغيرة نسبيا تتناسب والجهد البشرى المحـدود الذى يمكن ان يبسط سـيطرته ومقدرته الجسمانية عليه . ويتكون الفاس من نصل حديدية ثقيلة ، ويد خشبية طويلة ولذلك فهى تصل الى اعماق فى التربة السطحية لا تستطيع عصا الحفر الوصول اليه .

اما زراعة المحراث Plouph-Culture فهى زراعة الحقول الواسعة التى قد تصل الى عشرات الافدنة ، بل قد تصل الى اكثر من ذلك اذا تعدد المزارعين ، ولذلك فهى تعد من الزراعات المتقـدمة التى تتطلب معرفة تكنولوجية ارقى مما هو عليه الحال فى غيرها ، وتتميز ايضا بان لها طابع الاستقرار والكثافة الانتاجية العالية ، كما تستخدم فيها بعض الدواب لجر المحراث او حمل المحاصيل ، وغالبا تعتمد على مصدر دائم

(*) يختلف مفهوم ملكية الارض فى الثقافة الغربية عنه فى الثقافة الافريقية فبينما ينظر الاوروبى مثلا الى الارض على انها سـلعة تباع وتشترى او كما يقولون « سلعة حرة » فان الافريقيين لا يتصورون هذه النظرة . فالارض هى ملك الاباء والاجداد ، وكل ما يمكن التنازل عنـه مقابل بعض الحقوق هو النباتات او الاشجار التى تكون فوقها ولا تمتد الملكية للارض نفسها كارض . لانها ليست ملكا لفرد بعينه بل هى ملك للعشيرة والقبيلة التى تستغلها جماعيا . لمزيد من التفاصيل عن الصراع بين البيض والافريقيين : انظر عبد العزيز كامل ـ قضية كينيا ـ المكتبة الثقافية القاهرة ١٩٦١ م .

للرى وتتميز ايضا بتنوع المحاصيل الزراعيـــة • ويمكن ان تجمع بين الاقتصاد الزراعى المعيشى والنقدى على السواء •

واستطاعت زراعة المحراث كزراعة كثيفة ان تجنب اعدادا كبيرة من الســـكان ليكونوا مجتمعات قروية متميزة بطابع ريفى يميزهم عن غيرهم ، ووفرت لهم الارض كل الموارد الغذائية والمعيشية بحيث يعمل كل سكان القرية بالزراعة وما يرتبط بها من انشطة معاونة •

ورغم هذا العدد الوافر من وسائل انتاج الطعام فى البيئات المختلفة فان للانسان دورا كبيرا فى اتخاذ ما يراه طعاما له ، ويدخل فى هـــذا الاختيار طرق اعداد وطهى الطعام بطريقة مقبولة ومستساغة ، وهـــو ما يدخل فى العادات الغذائية للشـــعوب التى هى من صـــميم الثقافة السائدة فى المجتمع •

فما ينظر اليه كمصدر للطعام فى بيئة او ثقافة معينة قد لا يحظى بهذه النظرة فى ثقافة اخرى • ففى الثقافة الغربية نجد ان الجندب ــ وهو نوع من الجراد ــ لا يمثل مصدرا او موردا ــ بل يشكل حشرة مؤذية بينما نجده فى ثقافات اخرى يمثل طعاما لذيذ المذاق • وهناك ثقافات اخرى تنفر من السمك وطعام البحر ، وأخرى تحرم لحم الخنزير (كالثقافات الاسلامية) • وفى البيئات القاسية غير الملائمة تماما كبيئة البوشمن فى صحراء كلهارى بجنوب غرب افريقيـــا ، والسيريونو فى غابات وادغال السفانا فى شرق بوليفيا نجد أن عملية البحث عن الطعام تتخذ ــ غالبا ــ شكلا مستمرا غير منقطع (١) •

وقد يضطر الانسان فى مواقف معينة الى تعـــديل قائمة طعامه اذا افتقد عنصرا او آخر منها ، كما هو الحال فى حالة الحروب والازمات الاقتصادية فقد يجبر على اكل طعام كان يأنف منه من قبل ، اذا دعته الضرورة لذلك • وقد حدث اثناء الحرب العالمية الاولى أن اتخـــذت القوات المتحاربة لحـــوم الخيول والكلاب طعاما لها • امـــا فى اوقات

---

(١) محمد الجوهرى : الانثروبولوجيا ــ الطبعـــة الرابعـــة • دار المعارف ــ القاهرة ١٩٨٣ ــ ص ١٦٥ •

القحط والمجاعة مثل تلك التى حدثت بين شعوب القرن الافريقى وبخاصة اثيوبيا والصومال ، فان الانسان قد يأكل اى شيء يقع تحت يده •

ونستخلص من هـذا العرض لوسـائل وموارد انتاج الطعـام ، الامكانات العريضـة التى تقـدمها البيئة فى كل مجتمع لخلق واتاحة الفرصة لقيام حياة اجتماعية يعيش فى ظلها الانسان معتمدا فى غذائه على ما تجود به هذه البيئة من خيرات • وبقدر توفر الظروف الطبيعية فى البيئات المختلفة يتوزع الناس فى جماعات انسـانية تتعاون من خـلال العـلاقات الاجتماعية لاسـتخلاص مقومات حياتهم بطرق واسـاليب متعددة • كما يتضح ايضا الدور الذى يقوم به الانسـان للتغلب على الظروف المناوئه ويكيف نفسه لقبول واستساغة نوع الطعام المتوفر فى البيئة المحيطة . يساعده فى ذلك ـ كما سنرى فيما بعد ـ ما يقيمه افراد المجتمع من نظم اجتماعية على المستوى القرابى ، والسياسى والاقتصادى مما يجعل من السيطرة على البيئة وتوفر الطعام وضمان استمرارينه من الامور الميسورة المنال •

الفصـــل الثـــانى

الطعـــام والقرابـــة

هناك علاقة وثيقة بين نمط انتاج الطعـــام فى مجتمع ما وبين حجم الاسر فى ذلك المجتمع ، بل ان هذا النمط الانتاجى يتحكم فى تشكيل وتكوين الوحـــدات القرابية الاكبر من الاسرة مثل العائلات بشكليها البسيط والمركب ، والبدنة والعشيرة والقبيلة • ومن اهم وظائف هذه الوحدات المورفولوجية ضمان واستمرار وتوفير الموارد الغذائية لافراد هذه الجماعات القرابية ، وذلك عن طريق تحقيق أقصى قدر من التعاون المتبادل بين افرادها او جماعاتها بما يكفل تحقيق هذه الغاية • اى ان الطعام يؤدى الى خلق نسق قرابى يكون ملائما للظروف والاوضـــاع البيئية والاجتماعية والثقافية السائدة ، بحيث يجعل من الســـهل على سكان المجتمع استخلاص مقومات حياتهم فى سهولة ويسر •

فالشعوب التى تحترف الجمع والالتقاط او القنص والصيد ـــ على سبيل المثال ـــ يتشـكل اعضاء الاسرة فيها من افراد قلائل ينتشرون على رقعة واسعة من الارض ، بحيث يسعى افرادها للحصول على الطعام فى وقت واحد بأقل قدر من التعاون فيما بينهم ، حتى اذا عجز احد الافراد عن توفير الطعام الكافى ، فانه يعتمد على ما جمعه الاخرون من موارد غذائية اى ان النشاط الغالب والجهد المبذول يتسم بالفردية ، ولا يلزم لهذه الجماعات البدائية اى اشـــكال قرابية اكبر من الاسرة او العائلة البسيطة ، فلا تنتظم فى عشائر او قبائل كبيرة تربطها صلات او روابط قرابية متماسكه ، ولذلك يطلق عليها العلماء لفظ « جماعات » وقلما يمتد توزيع الموارد الغذائية الى ابعد من حدود هذه الوحدات القرابية الصغيرة نظرا لعدم اســـتقرارها فى مكان واحد • ولا تشـــكل هـــذه الجماعات اى شكل من اشكال التنظيم السياسى المعروف عند القبائل

الكبيرة المستقرة ، ولذلك فهى عرضة لضغط الجماعات الاخرى الاكبر والاقوى مما يضطر هـذه الجماعات البدائية الى الانضواء تحت لوائها والعمل تحت حمايتها •

اما فى المجتمعات الرعوية والزراعية المستقرة ، او التى تجمع بين هذين النمطين من النشاط الاقتصادى ، فان توفير الطعام وانتاجه بصفة ثابته ودائمة يؤدى الى تكوين وحـدات قرابية اكبر من محيط الاسرة يستلزم وجودها فى هذا النوع من وسـائل انتاج الطعام • بحيث نجد اشكال العائلة الاكبر عددا والاكثر تعقيدا مثل العائلة الممتدة والعائلة المركبة وأيضا الاشكال المختلفة للبدنات والعشائر والقبائل التى تؤدى وظائفها الاقتصادية والسياسية والدينية من خلال نظم وابنية اجتماعيه واضحة ، بحيث يمكن تتبع شـجرة النسب او الانحدار لاجيال عديدة متعاقبة ، نتيجة لاستمرار واستقرار هذه المجتمعات فترة طويلة من الزمن ووضوح واتساق العلاقات والروابط التى تجمع بينها •

كما ان نمط الانتاج القومى او المعيشى السائد يستلزم تعاون هذه الوحدات القرابية واعتمادها فى العمل والانتاج على اقاربهم للمساعدة فى اعمال الزراعة المختلفة او الرعى الفصلى او المتنقل ، نبعا لسدج مختلفة من العمـل التعاونى الذى يؤدى بطرق تقليدية مألوفه ويتخذ اسـماء واشكال مختلفة فى كل مجتمع ، ولا يخرج عن كونه اسلوبا للمساعدة والتعاون المتبادل بحيث يساعد الفرد اقاربه العاصين او اصـهاره عندما يحتاجون اليه وفق نظام محكم دقيق •

وأمام هـذا التكافل والتعاضد لتأمين موارد الطعـام يحبذ أفراد المجتمع تقوية عـلاقاتهم القرابية بمختلف الوسـائل ، وبمرور الوقت تتكون المقرات السكنيه والقرى التى قد تتألف من بضـع عائلات او عشائر تضم الاف الافراد وتنحدر من سلف واحد مشـترك ويمارس كبير العائلة سلطاته القرابية والسياسية على معظم السكان وينظم طرق انتاج وتوزيع الطعام على الاعضاء • واحيانا تتشكل القرى من عـدة قبائل او عشائر متصاهرة قرابيا ومتحالفة سياسيا تحت سلطة زعيم او رئيس اعلى يتخذ اسم « شيخ » او « كبير » •

ومن امثلة المجتمعات الرعوية التى يلعب الطعام دورا رئيسيا فى تشكيل وتكوين نظمها القرابية هو المجتمع الصومالى ، اذ يتصف التنظيم الاجتماعى لقبائل الصومال بالبساطة ، وهو لا يتعدى النمط التقليدى للقرابة الدموية وتنقسم كل قبيلة الى عدد من العشائر والبطون التىتنقسم بدورها الى عدد من العائلات والاسر • وهناك تناظر واضح بين التنظيم الاجتماعى للقبائل والاقاليم الرعوية التى تسكنها ، اذ يتوزع العشائر على رقعة واسعة من الارض داخل الحدود القبيلية •

ويسود المجمع الصومالى (*) على عكس كثير من المجتمعات الشرقية نظام الزواج الاكسوجامى Exogamy او الخارجى ، وهو يقضى بان يتزوج الفرد من خارج قبيلته ، حيث لا يفضل افراد المجتمع الزواج بين ابناء وبنات العمومة كما لا يفضل الزواج من داخل القبيلة او العشيرة وهو ما يعرف بالزواج الاندوجامى Endoganıy او الداخلى . ويرى الناس هناك ان الزواج الاكسوجامى يحقق عدة وظائف سياسية واقتصادية واجتماعية :

فعلى المستوى السياسى يؤدى التصاهر بين قبيلتين الى تحالفهما ضد الاعداء الخارجيين (بسبب كثرة المنازعات على اراضى المراعى) كما يقلل من احتمالات الصراع والتنازع بين هذين القبيلتين ، وهذا فى حد داته يوفر الحماية والامن لافراد العائلات والقبائل ، وبخاصة خلال غياب أعضائها من الرعاة عندما يرحلون بعيدا عن اوطانهم بحثا عن المراعى الخضراء التى يتوفر بها قدر كاف من العشب لاطعام ماشيتهم .• ومن مجموع القبائل المتصاهرة عن طريق الزواج الاكسوجامى تتكون جبهة سياسية متحدة تضم الاف الافراد فى اقليم او منطقة معينة تستطيع

(*) جمعت المادة الاثنوجرافية لمثال الصومال من خلال استبيان لكيفية الحصول على الطعام وطرق اعداده فى المجتمعات البسيطة . وقد طبق من خلال مقابلات فردية وجماعية لافراد من المجتمع الصومالى . واستخلصت قائمة الاسئلة بالرجوع الى كتاب

Focurt, George : Introductory Questions on African Ethnology

انظر : ملحق رقم (١) وبه قائمة بالاسئلة المتعلقة بالطعام انظر ايضا : توفيق الحسينى عبده : البيئة ، الطعام ، الحياة الاجتماعية ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ ندوة القرن الافريقى القاهرة ١٩٨٥ .

ان تقوم بدور فعال فى الضبط الاجتماعى ، وهو ما لا تستطيع ان تقوم به عائلة بمفردها •

اما على المستوى الاقتصادى فان التصـــاهر بين قبيلتين يعد امتدادا للاراضى والمراعى التى يملكها كل منهما • وتبدو اهمية هـــذه الوظيفة الاجتماعية فى البيئات الرعوية اكثر منها فى اى بيئة اخرى • ذلك انه اذا حدث جدب أو قحط فى منطقة معينة فلابد ان يرحل سكانها خارج هذه المنطقة الى منطقة اخرى ، فاذا كان الفرد متزوجا من نفس قبيلته فلن يجد انصارا من الاصهار يلجأ اليهم اما اذا كان متزوجا من قبيلة اخرى فانه يجد امامه فرصا افضـــل للنجاة بقطيع ابله ومواشيه خارج أرض قبيلته التى اصابها الجفاف او قلت بها الامطار او شح فيها الطعام او ندر ؛ واول الاماكن التى يفكر فى الرحيل اليها هى ارض اصهاره وعلى هؤلاء الاصهار ان يستقبلوه وافراد عائلته ، ويكرمون وفادته والا أعتبر ذلك عارا عليهم •

وعندما يصيب القحط او يقل الطعام او ينفد المخزون عند احـــد الرعاة فكثيرا ما يرسل زوجته الى اهلها لكى يمدوه بالمساعدة والطعام اللازم ، وهذه عادة متبعة بين افراد القبائل المتصاهرة ، بل ان اصهاره يغضبون منه اذا لجأ الى طلب المعونة او الطعام من ســـواهم • وهو بدوره يقوم بنفس الدور عندما يطلب منه تقديم المساعدة التى يحتاجها اصهاره • وتعد هذه الوظيفة الاجتماعية فى الزواج الاكسوجامى بمثابة تأمين اقتصادى واجتماعى ضد الكوارث والنكبات التى غالبا تصيب هذه المجتمعات الرعوية وتعرضها للمجاعة والقحط بين الحين والاخر •

وعلى المســـتوى الاجتماعى فان افراد المجتمع الرعوى الصـــومالى قد نما اليهم الادراك بان الزواج من نفس القبيلة يؤدى الى اضـــعاف النسل واصابته بكثير من الامراض • وقد لاحظ ذلك بمتابعته المستمرة لقطيع ابله الذى يعتنى به اشد العناية لانه عماد الثروة ويشكل جزءا رئيسيا من طعامه ، لذلك فهو يختار لناقاته عند تلقيحها جملا قويا من قطيع آخر ، وكأنه يطبق مبدأ الزواج الاكسوجامى حتى على الحيوان •

واذا كان نظام الزواج الاكسوجامى هو نمط الزواج المفضل لدى الشعب الصومالى ، فان نمط الزواج الاندوجامى هو النمط المفضـــل

بين سكان الريف المصرى ، حيث يفضل الشخص الزواج من داخل وحدته القرابية وبخاصة بنات العمومية او الخؤولة المتوازية (*) Parallel-Cousin Marriage او المتقاطعة Cross-Cousin Marriage وذلك لتحقيق الوظائف الاجتماعية لهذا الزواج ، ويأتى فى مقدمة هذه الوظائف ابقاء موارد انتاج الطعام وهى الاراضى الزراعية داخل العائلة الكبيرة نفسها وضمان عدم انتقالها ـ طبقا لنظام التوريث ـ الى جماعات اخرى ، مما قد يخل بمدأ التوازن الاجتماعى والاقتصادى .

هذا بالاضافة الى تعاون وتساند الاقارب العاصبين والمتصاهرين فى الاعمال الزراعية لانتاج الطعام اللازم لكل افراد العائلة . كما ان المرأة تعتبر فى ريف مصر عضوا منتجا اكثر منه مستهلكا ولذلك يفضل الاهالى الاستفادة بجهودها وخدماتها داخل الوحدة القرابية ، مما يؤدى فى نهاية الامر الى زيادة الثروة وتدعيم اقتصاديات العائلة ككل . وتساعد عملية التنشئة الاجتماعية على تهيئة الفتاة الريفية منذ صغرها للقيام بهذا الدور الحيوى . ورغم ان المرأه لا تساهم بشكل مباشر فى العمل الزراعى ، الا انها تقوم باعمال معاونة كحلب الماشية وصناعة منتجات الالبان وطهو الطعام واعداده للرجال العاملين فى الحقول بالاضافة الى قيامها بوظائف الامومة الرئيسية وانجاب الاطفال ورعايتهم وتربيتهم واعدادهم لتولى نفس المهام والمسئوليات التى تحملها الاباء والاجداد .

وهكذا تؤدى العلاقات والروابط القرابية الى صيانة وزيادة الموارد الغذائية ، وبالاستخدام الامثل لهذه الموارد يمكن الاستفادة الكاملة منها كما وكيفا . ولكن بعض المشكلة يعود الى القيود والتحريمات التى

(*) يقصد علماء الانثربولوجيا بالزواج بين ابناء وبنات العمومة والخؤولة المتوازية ، ان يتزوج الفرد ابنة عمه من ناحية او ابنة خالته من ناحية اخرى ، اما الزواج بين ابناء العمومة والخؤولة المتقاطعة فيعنى ان يتزوج الفرد ابنة عمته من ناحية او ابنة خاله من ناحية اخرى .
انظر : احمد ابو زيد : البناء الاجتماعى ـ الجزء الثانى ـ الانساق ـ القاهرة ١٩٦٧ م ، ص ١٤٤ .

يقيمها الانسان نفسه فى الثقافات المتنوعة تجاه نوع أو آخر من انواع الاطعمة المتاحه .

كما يرجع ايضا الى المعتقدات الكثيرة السائدة عن العلاقة بين الطعام والصحة ، وكذلك عن العلاقة بين الطعام وكثير من العقائد والشعائر والعادات ، والتى تحرم الناس من الاستفادة الكاملة من الطعام المتاح لديهم • وعلى ذلك يمكن القول بأن اسباب مشكلات سوء التغذية او النقص فى مواد الطعام ترجع الى اسباب ثقافية من ناحية او الى عدم الاستخدام الامثل للموارد المتاحة من ناحية ثانية •

كما ان التفاضلات الشخصية تقلل بلا شك من تشكيلة الاطعمة التى يستهلكها الفرد • مادام كل منا لا يقبل على كل الاطعمة التى تسمح بتناولها الثقافة السائدة • وقد وجد ان للخبرات الطفولية دخل كبير فى تحديد نوعية الطعام الذى نستسيغه ، فالطعام الذى نتناوله فى طفولتنا يستمر فى جذبنا اليه عندما نكبر ، بينما الطعام الذى نعرفه فى كبرنا أكثر عرضة للتغير ، ومع ان الناس تفرح عند تناول اطعمة جديدة ، فان سعادتها تتضاعف عندما تقدم اليها الوجبات المألوفة لديها (١) •

وتسهم عملية التنشئة الاجتماعية فى الثقافات المختلفة فى تأكيد العلاقة بين الطعام وبين الحقوق والواجبات تجاه الاقارب • فعند قبيلة البمبا Bemba التى تعيش بروديسيا الشمالية فى بيئة فقيرة الموارد محدودة الخيرات ، يجب على الشخص ان يساعد خاله بتقديم بعض الاطعمة اليه ، فاذا تقاعس اعتبر ذلك من قبيل نكران الجميل ، لان الخال فى المجتمعات الامومية Matrilineal مثل البمبا بمثابة الاب فى المجتمعات الابوية النسب Patrilineal وتقع عليه التزامات تجاه ابناء اخته وعليهم ايضا أن يقوموا بواجبهم نحوه عندما يحتاج الى المساعدة • وفى مثل تلك المجتمعات الفقيرة تقاس المنزلة الاجتماعية

---

(١) Foster & Anderson : Medical Anthropology, Op. Cit. P. 263.

للشخص بمقدار ما يعطى وليس بقدر ما يأخـذ ، كما يتفاخر الزعيم ليس بعدد اتباعه ولكن بكمية الطعام التى تسلمها وبمقدار ما دفعه منها على هـؤلاء الاتباع • وتتحـدد المراكز الاجتماعية للافراد بمـدى استضافتهم لعدد كبير من الافراد وليس بأن يكونوا هم ضـيوفا على غيرهم ، وينشأ الاطفال منذ نعومة اظفارهم على ان يشركوا رفاقهم فى الطعام .• وعادة تقول الام لطفلها « خذ هذه الفاكهة ووزع بعضا منها على اطفال الاقارب ، الذين يلعبون معك » ولذلك يتعلم الطفل ان هناك اقارب لهم الحق فى مشاركته الطعام ، وهذه المشاركة هى التزام اخلاقى تجاه غيره من الاطفال (١) •

وقد يتجاوز دور الطعام حدود النطاق القرابى المحدود ليشمل نطاقا اوسـع يضـم الجماعات العرقية nic او السلالية racial التى تعيش داخل ثقافة معينة او مجتمع او دولة ، وهنا يرتبط الطعام بالقومية فيما يسمى « الوجبات او الاطباق الوطنية (*) «National dish كنوع من التعبير عن تماسـك الجماعة وقوة الروابط التى تربط بين افرادها والتفافها حول موائد مأكولاتها الوطنية والمفضلة لديها ، وبخاصة عندما تقام هذه المآدب القومية فى بلاد اجنبية مما يثير مختلف الاحاسيس والمشاعر تجاه الوطن والانتماء اليه • ورغم ان المواد الخام الداخلة فى تكوين هذه الوجبات توجد فى كل مجتمع تقريبا ، الا ان طريقة اعدادها وطهوها تأخذ هذا الطابع القومى •

ويؤدى اغفال العـلاقة بين الشـعوب او الجماعات العرقية وبين الاطعمة المفضلة لديها الى مشكلات وصعوبات تتطلب دراسة مستفيضة للنظام الغذائى عند هذه الجماعات •

---

(١) Gluckman, Max : How The Bemba make their Livings in Hoebel «ed» (Reading in Anthropology). McGraw-Hill Books Co., N.Y. 1955. P. 173.

(*) ارتبطت اطعمة وماكولات معينة ببعض الاقطار مثل : الكباب المصرى ، والبيتزا الايطـالى ، والجبنة الهولندى ، والكافيـار الروسى والكبيبة الشامى ، والكسكسى المغربى . وايضا بعض المشروبات .

فقد صادف المشرفون على مشروع الزاندى فى جنوب السودان صعوبات شتى عند محاولتهم تقديم وجبة غذائية للعاملين فى المشروع كوسيلة لتحسين ظروف العمل ، فقد رفضها العمال وآثروا ان يعطوا نقودا يشترون بها ما يريدون ، ومع ان هذا الطعام يقدم لهم كأجر نوعى ، وكانت فرصة فهمه والاستجابة له واسعة ، الا ان هناك ظروفا جانبية أدت الى عدم الاقبال عليه ، ومنها نوع الطعام نفسه الذى لاحظ القائمون على المشروع ان يكون صحيا ، فنوعه وطريقة اعداده قد تختلف قليلا أو كثيرا عن طعامهم التقليدى (١) •

---

(١) فاروق العادلى : الانثربولوجيا الاقتصادية ـ سجل العرب القاهرة ١٩٨٣ ـ ص ٢٢٥ •

الفصـــل الثالث

العادات والتقاليد والنظم

يلعب الطعام دورا رئيسيا فى تنميط وتشـــكيل سلوك وتصرفات افراد الجماعات الانسانية فى الثقافات المختلفة • وتأخذ هـــذه الانماط السلوكية احيانا شكل العادة Custom التى يمارســها السكان بطريقة تلقائية كنوع من السلوك الجمعى المألوف دون معرفة مصــدرها ، او ادراك للاسس والمبادىء التى قامت عليها • واحيانا اخرى تتخذ هذه الانماط شكل التقاليد Tradition التى يتوارثها الخلف عن السلف وتدخل فى صميم الثقافة السائدة وتعد من مكونات الميراث الثقافى العام للشعوب والامم ، ويمارسها سكان المجتمع كنوع من الشعور بالانتماء القومى او الالتزام الخلقى ، فاذا اتصلت هـــذه الانماط الســـلوكية الطعامية بمفهوم دينى او عقائدى اصبحت تمارس كنوع من الشعائر Rituals او العقائد Beliefs التى يحترمها السكان ويقدسونها كنوع من الالتزام الدينى او العقائدى •

ولتوضيح هذه المفاهيم الثقافية والاجتماعية فى صلتها بالطعام يمكن القول انه من الممكن ان يتخلص الناس من عادات غذائية معينة اذا تبين انها ضارة ، او غير مفيدة مثل تناول وجبات فى غير مواعيد معينة ، او عادة الخروج من المنزل صباحا دون تناول طعام الافطار وهكذا .•

اما التقاليد فليس من السهل تغييرها او التخلص منها الا اذا غـــير الانسان قيمه وتحول عن ثقافته التى تربى فيها الى ثقافة اخرى مغايره لها تقاليد مختلفة • فمن التقاليد العربية المشـــهورة حسن اســـتقبال الضيوف وكرم وفادتهم ، لدرجة ان « كرم الضيافة » من التقاليد العربية الراسخة التى يتوقعها كل من هو غريب عن الثقافة العربية •

ومن العقائد الثابته المتصلة بالطعام عند المســـلمين اطعام الفقراء والمساكين لدرجة ان طعام ستين مسكينا طعاما مشبعا بنص القرآن الكريم

يحل محل فريضة الصوم لغير القادرين عليه • ويمارس المسيحيون عقائد متعددة متصلة بالطعام ومنها ــ على سبيل المثال ــ غذاء الاحد الذى يقام بعد الانتهاء من الخدمات الكنسية ويجمع اعضاء العائلة •

ونلاحظ ايضا فى قارة افريقيا عادات وتقاليد مشـــابهة فكثير من الشعوب الافريقية تتقرب الى ارواح الاسلاف بتقديم الهدايا والقرابين التى تشـــمل انواع مختلفة من الاطعمة واحيانا تذبح الاضـــحيات من الماشية او الحيوانات الاخرى على اضرحة الالهة تقربا واسترضاء لها • وقد وجد ان احد وظائف نظام تعدد الزوجات فى ارجاء القارة المختلفة هو القيام بأعباء طهو الطعام اللازم لضـــيوف الزوج الذين قد يفدون بكثرة بحيث لا تستطيع زوجة واحدة القيام بعبء تجهيز الطعام واعداده وطهوه •

وذكر جومو كينياتا (١) J Kenyatta فى وصـــفه للشعائر الدينية عند قبيلة الكيكويو وهى قبيلته ان هذه الشعائر تصاحب عملية انتاج الطعام منذ بدايتها حتى نهايتها • فقبل هطول الامطار تذبح الاضحيات للالهة ، ويقول ان كل احتفال حضره هو شخصيا لانزال المطر قد اعقبه هطول الامطار • هناك أيضا احتفال بدء الزراعة ، فعندما تسقط الامطار يقوم مجلس الكبار بأداء طقوس معينة لمباركة البذور لانتاج محاصيل اوفر ويعقب ذلك احتفالات تطهير المحاصيل لمدة ثلاثة اشـــهر ، واخيرا تاتى احتفالات الحصاد عندما يبدأ جمع المحصول حيث تقدم اضحية للالهة على منحته الكريمة من الامطار ..

ومن اهم مظاهر السلوك الانسانى التى تمنع الاستفادة الكاملة من الاغذية المتاحة فى الاقليم سواء أكانت فى صورة حيوانات أو نباتات هى تلك الشعائر التوتمية Totem الواسعة الانتشار بينعشـــائر المجتمعات الافريقية وغيرها من المجتمعات البدائيـــة فى استراليا وامريكا الشمالية وغيرها • والتى تحرم على جميع افراد العشيرة ان يمسوا بسوء نوع هذا التوتم كما يحرم صيده او أكله •

---

(١) Kenvatta, J. : Facing Mount Kenya, Vitage Books, N.Y., 1965, P. 235 f.

ويعد الامتناع عن تناول اطعمة حيوانية او نباتية معينة من مظاهر توحد العشيرة التوتمية وتميزها من غيرها من العشائر ، ويؤدى هـذا السلوك الى قيام علاقة قرابة اجتماعية بين أفراد التوتم الواحد لاعتقادهم انهم ينحدرون من سلف واحد مشترك (١) .

ويقصد بالتوتم الحيوانى او النباتى الفصيلة العامة التى ينتمى اليها الحيوان او النبات ، ويعتقـد افراد العشـيرة انهم وافراد هذا التوتم ينتمون الى وحدة اجتماعية او ما يشبه الاسرة الواحدة ويتخذون من اسمه رمزا لهم ولقبا لجميع افرادها وينزلونه منزلة التقديس والاحترام . ويستثنى من هذه القواعد بعض حالات حددتها التقاليد ومنها انه يباح لافراد العشيرة ان يتناولوا طعاما من توتمهم فى بعض المناسبات الدينية ، او اذا لم يجدوا امامهم طعاما آخر ، او اذا كانت الحياة لا تتم بدونه كما هو الحال فى توتم الماء ، او فى حالة الدفاع النفسى (٢) .

وفى كل تلك الحالات يجب الا يقوم الشخص بذبح او قلع النبات الذى ينتمى الى عشيرته بنفسه ، بل يتولى فرد آخر من توتم مغاير القيام بهذا العمل (*) .

وحيث ان نمط الزواج المفضل عند العشـائر التوتمية هو الزواج الخارجى فلابد ان يتزوج الفرد من عشيرة مختلفة عن عشيرته ولها توتم آخر ، وفى هذه الحالة تمتد مظاهر التحريم الطعامى لتشمل توتم الزوج

---

(١) Levi-Strauss, Claude : Totemism, translated by Rodney Needhaam, Pelican Books, Oxford, 1968, P. 110.

(٢) على عبد الواحد وافى : الطوطمية : اشهر الديانات البدائية . دار المعارف القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٤ .

(*) شاع الاعتقاد فى الكتاب الانثربولوجية الاولى بأن احترام التوتم ومظاهر تقديسه تعنى ان التوتمية هى نوع من العبادة البدائية والحقيقة هى غير ذلك . فعلاقة العشائر بتوتمهم هى علاقة قرابة اجتماعية فقط وللتوتم ابعادا اجتماعية متصلة بالطعام اكثر بعدا عن مجرد توتم العشيرة التى ينتمى اليها الشخص ، فهناك ايضا توتم الاتحاد العام للعشائر التى يعتقد انها تنحدر منه ، وعلى الفرد ان يطبق قواعد التحريم على توتم الاتحاد بنفس درجة التحريم التى يطبقها على توتمه .
لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع راجع على عبد الواحد وافى ـ مرجع سابق .

وتوتم الزوجه مما قد يحرم الاسرة من نوعين ــ على الاقل ــ من الطعام الحيوانى او النباتى .

ولقد اشار هاومان Howman بوجود هذه الظاهرة عند حديثه عن نظام الطعام عند العمال الافارقة فى روديسيا . وكيف ان الرجل يختار اطعمة معينة من جملة الطعام المتوفر فى البيئة . ويحكم هــذا الاختيار قواعد دينية وسحرية متعلقة بالمحرمات Taboo رافضا ما عداها لارتباطها ببعض الافكار التى هى اقوى من اى ضرورة اقتصــادية . فكل نظم الاطعام تخضع منذ الطفولة لقواعد وطقوس معينة وتستمر هكذا حتى الكبر . ويضيف قائلا : ان التأثير الثقافى يبدو واضحا وعميقا ويشكل المشاعر الوطنية نحو الطعام . لذلك فان انماط الطعام فى العالم تحكمها الثقافة السائدة عند شعب من الشــعوب ، والمناخ الذى توجــد فيه والمناشط التى يقومون بها وكذلك القيم الاجتماعية المتعارف عليها (١) .

واذا كانت المعتقدات الدينية والشعائرية المتصلة بالطعام تبدو على هذه الصورة العميقة فى نفوس الافراد والجماعات الافريقية وغيرها من الثقافات المختلفة ، والتى تبدو مظاهرها واضــحة فى مختلف انــواع السلوك الانسانى والتى يتمسك بها الناس فى مختلف المواقف الاجتماعية كتعبير عن ارتباطهم بالثقافة التى ينتمون اليها . فان العادات الطعامية تبدو اكثر تنوعا واختلافا فى مقارنتها بأنواع السلوك الانســانى لدى الشعوب المختلفة .

فجماعات الاســكيمو التى تعيش فى القارة القطبية تكاد تقتصر فى غذائها على اللحوم والاسماك وحدها على خلاف كثير من الشــعوب الهنــدية المكسيكية التى يقــوم غــذاؤها فى معظمــه على الحبــوب والخضروات ، وكذلك نجد ان اللبن ومنتجاته يعتبر غذاء فاخرا عند شعب الباجندا فى شرق افريقيا ، فى الوقت الذى تضعها فيه شعوب غرب افريقيا فى مرتبة ادنى من ذلك بكثير وتســتخدم كثير من قبائل الهنود الحمر الامريكية الاسماك فى غذائها ، فى حين تتقزز منها شعوب النافا هو

---

(١) Howman, R. : Native Affairs, In Micheal Gelfand, (Diet and Tradition in an African Culture, E & S Livingston, London, 1971, P. 5.

هو والاباتشى التى تعيش فى نيو مكسيكو وتعتبرها غير صالحة لغذاء الانسان . وهناك كثير من الشعوب التى تأكل لحم الكلاب (بل اننا نجد ان بعض قبائل الهنود المكسيكيين تربى نوعا خاصا من الكلاب لاكله ، فى الوقت الذى نجد فيه كثير من الشعوب الاخرى ــ مثلنا نحن ــ التى تتقزز من فكرة أكل لحم الكلاب (١) .

ثم ان التباين لا يقتصر على أنواع المواد الغذائية وانما يمتد الى طريقـــة الربط بين أنواع مختلفة من الاطعمـــة ، فاليهود المتـــدينون لا يجمعون بين اللحوم ومنتجات الالبان فى وجبة واحدة ، ولكنهم يمكن ان يتناولوا الصنفين منفصلين احداهما عن الآخر ، ويمكن ان نجد عادة مماثلة عند شعب الاسكيمو يتحتم بمقتضاها فصـــل الاغذية البحرية فصلا تاما عن الاغذية المأخوذة من الحيوانات البرية ، بل انهم يقدمون هذه الاصناف فى اوان مستقلة (٢) .

ومن انماط السلوك الانسانى المتصـــلة بالطعـــام ، تلك التصرفات الهادفة الى توثيق العلاقات الاجتماعية القائمة فعلا او تأسيس علاقات جديدة بين الافراد او الجماعات . ففى كل المجتمعات البشرية ان تقدم الطعام (وأحيانا الشراب) فانت تقدم الحب والمودة والصداقة . كما ان قبول الطعام المفضل هو اعتراف بابداء المشاعر الطيبة وتبادلها تجـــاه الاخرين . اما الامتناع والاحجـــام عن تقديم الطعـــام فى المواقف التى يتوقع ان يقـــدم فيها فهو تعبير عن الغضب والكراهية والعـــداوة . وبالتالى فان رفض الطعام المرغوب يعتبر بمثابة رفض لعروض الحب والصداقة تجاه الشخص الذى يقدم الطعام .. ويشـــعر الناس بالامن حين يأكلون مع الاصدقاء والمقربين ، وفى معظم المجتمعات تقام الولائم الخاصة والعامة للتعبير الرمزى عن هـــذه المشـــاعر الودية . وعـــادة لا نشارك اعداءنا الطعام ، واذا حدث هذا فى المناسبات القليلة فان مجرد تناول الطعام معا يجعلنا نطرح خلافاتنا جانبا (٣) .

وعندما يتعاظم دور الطعام فى حياة الشـــعوب يأخذ شـــكل النظم الاجتماعية المقررة ، ويدخل بذلك فى نطاق البناء الاجتماعى للشعب او

---

(١) محمد الجوهرى : الانثربولوجيا ــ مرجع سابق ص ٥٩ .
(٢) نفس المرجع ص ٦٠ .
(٣) Foster & Anderson : Op. Cit , P. 368.

القبيلة التى تمارسه ، ويكون له فى هذه الحالة اكثر من وظيفة اجتماعية بجانب وظيفته فى توفير الموارد الغذائية وتأمينها لاعضاء المجتمع . ويحسن ان نضرب مثالين فى قارة افريقيا يوضحان كيفية عمل هذه النظم ، أولهما من مجتمعات رعوية والثانى من مجتمعات زراعية .

(ا) نظام الوديعة :

وهو نظام اقتصادى اساسا له عدة وظائف اجتماعية وسياسية هامة ويسود هذا النظام فى مجتمعات شرق افريقيا وتمارسه قبائل الناندى Nandi والباكوت Pakot والكبسيجسى Kipsigis على نطاق واسع وقد اطلق عليه هنتجفورد نظام الكابتيش Kaptish

وبمقتضى هذا النظام يودع الشخص ـ كأمانة دائمة ـ عددا من مواشيه عند بعض الاصدقاء او الجيران فى اماكن مختلفة ومتباعده ؛ ويحصل من وقت لاخر على ناتج هذه الوديعة فى صورة عجل صغير او احد الهدايا من الحبوب او الماعز او الاغنام من المودع لديه . وعادة تصل ايداعات الشخص الواحد الى ثلاثة او اربعة .

وباتباع هذا النظام يحقق الفرد ثلاثة اهداف اقتصادية :

١ ـ فهو يضمن موردا غذائيا دائما بصورة منتظمة من هؤلاء الاصدقاء يؤمن له ولاسرته احتياجاته الغذائية بصفة مستمرة دون بذل اى جهد .

٢ ـ يضمن عدم تعرض ثروته من الماشية للفناء فى حالة اصابة منطقته بخطر الفيضان او الجدب او انتشار الامراض الوبائية وايضا خطر غارات القبائل الاخرى على الماشية .

٣ ـ تنوع طعامه نظير ما يحصل عليه من مواد غذائية مختلفة تأتيه من اصدقائه العديدين الذين يقطنون مناطق بعيدة .

هذا بجانب الاهداف الاجتماعية والسياسية التى يحققها هذا النظام لانه يقوى من العلاقات الاجتماعية للاشخاص المتعاونين فى نظام الوديعة ، وبقدر اتساع نطاق هؤلاء الاصدقاء تزيد المزايا المتحصلة ، وفى احيان كثيرة يتعاون هؤلاء الافراد فى مجالات اخرى عديدة عندما

تتم الزيارات المتبادلة عند اداء ريع الوديعة . اما من الناحية السياسية يؤدى النظام الى تقوية وسائل الضبط الاجتماعى داخل هذه المجموعة . اذ ان الاعتداء او الاغارة على ماشية ى فرد منها يعتبر اعتداء على جميع المشتركين فيه ، وهو امر يستلزم ان يهب الجميع للدفاع عن المعتدى عليه واعادة الماشية الى حائزها . لذلك فان دخول الفرد فى زمرة نظام الوديعة كفيل بمنع الاخرين من الاعتداء عليه او سلب ماشيته .

ويبدو حرص الناس على الاستمرار فى نظام الوديعة فى مظاهر الترحيب والاحتفاء باصدقاء النظام وتجديد وديعتهم واكتساب اصدقاء جدد كلما امكن ذلك (*) .

(ب) نظام الزمالة :

وهو نظام اقتصادى زراعى يتضمن وظائف اجتماعية عديدة . ويوجد هذا النظام فى الريف المصرى وله نظائر فى المجتمعات الافريقية وان كان يأخذ اسماء مختلفة فهو يسمى نظام « الحليفة » فى كل من السودان والصومال . ويقوم فى اساسه على تعاون عدد من المزارعين فى انتاج الطعام من الاراضى الزراعية التى يملكونها ، ويضم فريق الزماله بين ١٥ الى ٢٠ مزارعا . ونظرا لتعدد مراحل الانتاج الزراعى فى المواسم المختلفة ، فان المزارع الواحد لا يستطيع القيام بأعباء العمل الزراعى

(*) ومما هو جدير بالذكر ان هذا النظام ادى فى مجتمع الباكوت الى زيادة هائلة فى الثروة الحيوانية وتوفر الطعام فى المجتمع بشكل جعل السلطات الاستعمارية تعمد الى تقليل اعداد الماشية بالقوة بحجة قلة المراعى وصدرت تشريعات لتفيد هذه السياسة ، وفى عام ١٩٥٢ اجرى احصاء للثروة الحيوانية تبين ان هناك ما يربو على ١١٠٫٠٠٠ راس من الابقار ، وعدد مماثل من الماعز وحوالى ٣٧٫٠٠٠ رأس من الخراف ؛ فى حين ان عدد السكان لا يزيد عن ٤٠ الفا وفشلت الحكومة فى اقناع الاهالى ببيع الماشية للاجانب عن طريق التصدير . ويعود ذلك الى ان التصدير يحرمهم من المنافع المترتبة على الالتزامات الاجتماعية الموجودة فى نظام الوديعة .

انظر : ملفيل هرسكوفيز ، وليم ساسكوم : الثقافة الافريقية مرجع سابق ص ٣١٤ .

كلها ، كما انه لا يملك كل المعدات والادوات الزراعية اللازمة لانجاز العمل المطلوب لذلك تتفق مجموعة من المزارعين ــ قد لا ينتمون الى وحدة قرابية ــ على الدخول فى نظام للزمالة فيما بينهم بحيث يعملون سويا فى حقل احدهم احد الايام ثم ينتقلون الى حقل زميل آخر وهكذا فعند القيام بعمل زراعى ما مثل بذر البذور او حصد المحصول يتفق مع العدد اللازم له من زملائه للارتباط معه على العمل فى اليوم المحدد (١) (٢).

وبذلك يتوفر للمزارع قوة عاملة من عدة رجال لا يدفع لها اجرا : كما يلزم النظام الافراد المشتركين فيه على تبادل الادوات والمعدات الزراعية ليكمل بعضهم بعضا . وله ايضا ان يستعير من اى زميل احد الدواب او احد قطعان الماشية ، ويحدد العرف السائد بين الزملاء طرق استخدام المستلزمات الزراعية المعارة بشكل لا يترتب عليه اى اضرار او خسائر لمالكها الاصلى .

ويترتب على الدخول فى نظام الزمالة علاقات اجتماعية اوسع بالاضافة الى تقوية العلاقات المتبادلة القائمة بالفعل .

---

(١) احمد ابو زيد : البناء الاجتماعى ــ الانساق ــ مرجع سابق .

(٢) Huntingford, G.W.B. : Nandi Work and Culture, L. 1950.

خاتمـــــــة

كانت دراستنا لموضوع الطعام فى ثقافات مختلفة وبين سكان مناطق متباينة ، هى محاولة للتعرف على الابعاد المختلفة لاشباع حاجة بشرية ضرورية ولازمة لبقاء الانسان • وقد تبين ان الاستجابة الثقافية للطعام كحاجة بيولوجية ــ كما يقول مالينوفسكى فى نظريته عن الحاجات ــ قد أدت الى بعض الحاجات الثانوية • وعلى ضوء المعطيات النظرية التى اتخذت كاطار للدراسة • وبدراسة الانماط المتنوعة لنشاط الانسان فى قــارة افريقيا وغيرها فى محاولته لتأمين مصــادر طعامه بشتى الطرق والاساليب ، فقد خلصت الدراسة الى النتائج والتعميمات الآتية :

١ ــ اصبح البحث فى اثربولوجيا الطعام يشكل اهمية متزايدة فى الوقت الحاضر ، فبالاضافة الى الاهداف النظرية والتطبيقية لهذا الفرع الجــديد من الاثربولوجيا ، فانه يفتح المجال لدراســة العــديد من الموضوعات التى تهم شعوب الدول النامية ، وبخاصة بعد حدوث النقص الشــديد فى الموارد الغذائية نتيجة الجفاف فى بعض اقاليم افريقيــا • كما ان تحول بعض المجتمعات التقليدية من زراعة المحاصيل المعيشية الى زراعة المحاصيل النقدية يؤدى الى تفاقم مشكلة الطعام •

٢ ــ تعد الحــاجة الى الطعــام فى كل المجتمعات البشرية من اولى الحاجات التى تتطلب الاشباع ، وهى بذلك تفوق الحاجــة الى الملبس والمسكن وغيرها • ويتخذ السكان فى كل مجتمع كافة الوسائل والطرق التى تمكنهم من الحصول على موارد للطعام بقدر ما يتوفر فى البيئة من مواد وامكانات ، ولذلك تتفق الدراسة مع نظرية مالينوفسكى فى ان الحاجة الى الطعام هى خاصية مشتركة بين ابناء البشر جميعا •

٣ ــ تختلف الحاجات الثانوية التى هى ثقافية اكثر منها بيولوجية بين مجتمع لاخر ، وان طرق اشباعها تخضع لمؤثرات ثقافية تحددها القيم السائدة فى المجتمع ، ويدخل ضمن هذه المؤثرات ما يتوفر لدى سكان

المجتمع من معرفة تكنولوجية تمكنهم من استخدام وسائل انتاج الطعام بكفاءة ومقدرة ، ولعل هذا هو ما أشار اليه مالينوفسكى بتدريب ابناء ثقافة معينة على الاستخدام السليم والانتفاع بهذه الاساليب •

٤ ــ هناك ارتباط وظيفى بين نمط الانتاج الطعامى وبين بعض النظم الاجتماعية كالنظم القرابية والسياسية ، فتتخذ المجتمعات من هذه النظم ما يتناسب ونشاطها الاقتصادى فتكوين العائلة وعلاقاتها القرابية وأنماط الزواج المفضلة لديها تتوافق مع وسيلتها فى انتاج الطعام وتوزيعه واستهلاكه بحيث يختلف تكوين العائلة فى مجتمعات الجمع والالتقاط عنها فى مجتمعات الصيد او الرعى او الزراعة •

٥ ــ تحتاج الموارد الغذائية المتاحة فى الاقليم الى قبول ثقافى حتى تصبح طعاما مقبولا ومستساغا من سكان المجتمع ، ولذلك لا يستهلك السكان كل مواردهم الغذائية بسبب بعض الانماط السلوكية التى تتخذ شكل العادات المرعية أو التقاليد المتوارثة أو الشعائر والعقائد السائدة• ولذلك فالطعام مفهوم ثقافى انسانى أكثر منه مادة عضوية مغذية •

ملحق رقم (١)

اسئلة واستفسارات عن الطعام (*)

(ا) انواع الطعام المختلفة

١ ــ الاطعمة الاساسية : خضروات ــ لحوم حيوان •• الخ (اذكر قائمة بالاطعمة المعتادة لمعظم السكان ، وبين مدى انتشارها • يفضل ذكر الاسماء الوطنية ، وتحديد النسب المعتادة بين اطعمة اللحوم أو الخضروات) •

٢ ــ تفاصيل عن الطعام الحيوانى • صنف نوعية الحيوان وهل هو مستأنس أو بريا ؟ (يجب ابراز استخدامات اللبن بالتفصيل) وما هى اجزاء الحيوانات التى تؤكل عادة (بخلاف اللحوم المحرمة) •

(ب) اعداد الطعام

٣ ــ ما هى طبيعة الاعداد •

٤ ــ اذكر وسائل الاعداد المادية مع وصفها وصفا دقيقا ، وما هى الاماكن التى يتم فيها اعداد الطعام •

٥ ــ كيف تذبح الحيوانات ؟ مع وصف المراحل المختلفة التى تتبع مثل السلخ ، التقطيع •• الخ •

٦ ــ الطريقة المتبعة لاكل الطعام ، ناضج ، مطبوخ ، طازج •

٧ ــ اشرح كيفية الطبخ ، والادوات والاوانى المستخدمة •

٨ ــ طبيعة الاشخاص الموكول اليهم مهمة اعداد الطعام بصفة عامة وكذلك اعداد الوجبات بصفة خاصة •

(*) Focurt, George : Introductory Questions on African Ethnology Sultanieh Geographical Society, CAIRO, 1919, PP. 37-40.

(ج) الوجبـــــات

٩ ــ هل هناك أوقات محددة للوجبات ؟ ما هى اسماء الوجبـات اليومية باللغة الوطنية ؟

١٠ ــ أنواع الوجبات النمطية ومكوناتها الاساسية • المشتركون المعتادون وجبات رب الاسرة والاطفـال • نظـام توزيع الطعـام على المشتركين فى الوجبة مع وصف الاوعية والاوانى المستخدمة •

١١ ــ طريقة الاكل •• أوضاع أو جلسات المشتركين •• درجـة قرابتهم •• التحريمات المختلفة (مثل كلمات معينة أو نظرات •• الخ)•

١٢ ــ الوجبات الجماعية : تفاصيلها ، عدد ونوع المشتركين فيهـا

١٣ ــ الولائم الشعائرية : الطقوس المتبعة ، العادات الممارسة •

١٤ ــ وجبات الزعماء واشخاص معينين ، طبيعتها المقدسة ، آداب المأكل التحريمات الخاصة •

(د) القيود والواجبـات

١٥ ــ الطعام المخصص لاشخاص معينين : (ملوك ، زعماء ، رجال، دين مطيبون ، رجال يتمتعون بمنزلة خاصة ، اطفال ، نساء ، مسنون ؛ محاربون ، صيادون •• الخ) •

١٦ ــ ما هى الحيوانات والخضروات المحـرمة فى كل الاوقات ، ولكل الاشخاص وكذلك تلك التى تحرم لاشخاص معينة ؟

اذكر : العمر والجنس والفئة الاجتماعية ، وبين فى كل نوع عما اذا كان التحريم دائما أو مؤقتا مع بيان الوقت • وجه عناية خاصة لقيـود الطعام بالنسبة الى : ــ

(أ) النساء الحوامل •

(ب) أوقات صيد السمك أو الصيد البرى ، عمليات الزراعة قبـل البذر والحصاد ، أو عمليات الصناعة مثل صهر الحديد وصناعة الخزف، أو خلال الحرب ، وأيضا خـــلال مناسبـــات المواليد والوفيـــات والزيجات ••• الخ •

١٧ ــ هل هناك اجزاء معينة من لحوم الحيوانات أو من الخضروات تعتبر محرمة ؟ مثل المخ •• النخاع •• الكبـــد •• العيـــون •• أو البيض •• الخ •

(هـ) التوابل والمنبهـات

وبالنسبة للخضروات اذكر ايضا القيود والمحرمات على اجزائهـا أو مكوناتها مثل اللب •• الثمـار •• أو البذرة •• الخ •

١٨ ــ ما هو نوع الملح الشائع ؟ اماكن وجوده (اغوار مالحـة ؛ مستنقعات ملحية •• الخ) وسائل الحصول عليه • استخداماته فى الحياة بصفة عامة •

١٩ ــ ما هى أنواع التوابل المتوفرة ؟ مع وصف لمجالات استخدامها فى الطعام فى اغراض اخرى •

٢٠ ــ ما هى المنبهات صلبة الشكل ؟ بخلاف البن والشاى •

٢١ ــ هل توجد منبهات سائلة ؟

(و) المكيفـــات

٢٢ ــ اذكر قائمة بأنواع الدخان •• الافيـــون •• الحشيش ، وكذلك المواد الاخرى مع بيان طرق الاستخدام والادوات •

(ز) المشـــروبات

٢٣ ــ اذكر قائمة بكل انواع المشروبات التى يستهلكها الناس عادة أو فى مناسبات خاصة •

مثل الجعة المصنوعة من الذرة أو الغلات الاخرى ، اللبن ، الخمـر المستخرج من النخيل ، الكحول المأخوذ من ثمار معينة •

٢٤ ــ هل توجد مواد تستخدم فى هذا المزج أو التركيب ؟

٢٥ ــ ما هى وسائل التحضير • ومراحل الاعداد ؟

٢٦ ــ وسائل حفظ المشروبات والاوعية المستخدمة •

٢٧ ــ ما هى طرق استهلاك المشروبات •• فردية •• جماعية ؟

٢٨ ــ ما هى أنواع الاطعمة التى يحرص الناس على حفظها ؟

(ح) حفظ الطعـــام

٢٩ ــ طرق الحفظ المختلفة بالنسبة لكل نوع مثل اللحم (جاف، مدخن ، مملح ، محفوظ فى محلول) ... الخ •

٣٠ ــ هل هناك طرق لحفظ السمك ؟ وما هى •

٣١ ــ طرق حفظ الفواكه •

٣٢ ــ اذكر قائمة بالاطعمة الاخرى التى يتم حفظها •

اولا ـ المراجع العربية

١ ـ **احمد ابو زيد** : البناء الاجتماعى ـ الجزء الاول ـ المفهومات الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ـ القاهرة ١٩٧٠ .

٢ ـ **احمد ابو زيد** : البناء الاجتماعى ـ الجزء الثانى ـ الانساق ـ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ـ القاهره ١٩٧٦ .

٣ ـ **توفيق الحسينى عبده** : البيئة ، الطعام ، الحياة الاجتماعية ـ دراسة أنثربولوجية فى المجتمع الصومالى . معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ ندوة القرن الافريقى ـ القاهرة يناير ١٩٨٥ .

٤ ـ **حسن شحاته سعفان** : تاريخ الفكر الاجتماعى . مطبعة دار التأليف ـ القاهرة ١٩٥٨ .

٥ ـ **رالف لنتون** : شجرة الحضارة ـ الجزء الاول ـ ترجمة الدكتور أحمد فخرى ـ مكتبة الانجلو ـ القاهرة ١٩٥٨ .

٦ ـ **على عبد الواحد وافى** : الطموطية . اشهر الديانات البدائية دار المعارف ـ القاهرة ١٩٥٩ .

٧ ـ **فاروق العادلى** : الانثربولوجيا الاقتصادية
مطبعة سجل العرب ـ القاهرة ١٩٨٥ .

٨ ـ **محمد الجوهرى** : الانثربولوجيا
دار المعارف ـ القاهرة ١٩٨٣ .

٩ ـ **محمد الجوهرى وآخرون** : التغير الاجتماعى
دار المعارف ـ القاهرة ١٩٨٢ .

١٠ـ **وليم باسكوم** : الثقافة الافريقية
ملفيل هرسكوفيتز : ترجمة عبد الملك الناشف ـ بيروت ١٩٦٦ المكتبة المصرية .

ثانيا ـ المراجع الاجنبية

1 — Beals, R. & Hoijer, H. : An Introduction to Anthropology, Mac Millan Co., N.Y. 1967.

2 — Beattie, John : Other Cultures, Routledge & Kegan Paul, London, 1966.

3 —Claude-Levi Stauss : Totemism, Translated by Rodney Needhaam, Pelican Book, Oxford, 1968.

4 — Firth, Raymond : Malaya Fishermen, their Peasant Economy, Landon, 1946.

5 — Focurt, George : Introductory Questions on African Ethnology, Sultanieh Geographical Society, CAIRO, 1919.

6 — Forde, Daryll : Habitat, Economy, and Society Methuen & Co. Ltd., London, 1946.

7 — Foster, G. & Medical Anthropology, John, Wiely & Sons, Anderson, B. N.Y. 1978.

8 — Herskovits, M. : The Human Factor in changing Africa, Alfred A. Knopf, M.Y., 1962.

9 — Hoebel, E. Adams : MAN, in the Primitive World, Nc-Graw-Hill Book Co., Inc. N.Y., 1958.

10 — Howman, R. : Native Affairs, in Micheal Gelfand (Diet and Tradition in An African Culture) E & S Livingstone, London, 1971.

11 — Kenyatta, Jomo : Facing Mount Kenya, Vintage Books, N.Y. 1965.

.. ..